العرب
السبت 2021/10/09
السنة 44 العدد 12204

الانتخابات فرصة الميليشيات لتثبيت حضورها في العراق

طهران توسع نفوذها في بغداد عبر اختراق الفصائل المتشددة في البرلمان

تبحث الميليشيات الشيعية التي أصبحت تتحكم في مفاصل العراق بقوة السلاح عن منفذ لتثبيت نفسها سياسيا عبر الانتخابات التشريعية المبكّرة التي ستكسبها شرعية مفقودة تحاول منذ سنوات الحصول عليها، مدعية أنها تسعى لتغيير الوضع السياسي الراهن وتنفيذ الإصلاحات الاقتصادية الضرورية، رغم أنها كانت المتهم الرئيسي في الفساد المتفشي والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة من قبل "ثوار تشرين" (أكتوبر).

نوايا المترشحين مكشوفة للعراقيين

بغداد - بينما يتطلع العراقيون بأمل ضئيل إلى أن تسهم الانتخابات التشريعية المبكرة في تغيير الطبقة السياسية الحاكمة وتمنحهم مستقبلا أفضل تحت قيادة وطنية ملتزمة بإصلاح ما أفسدته عقود من الفساد، تُراهن الميليشيات الشيعية، التي تعدّ واحدة من طبقة سياسية فاسدة جثمت على البلد فأنهكته، على الانتخابات لتوسيع نفوذها والتمكن من مفاصل الدولة أكثر.

ويُرجح بعض المراقبين أن تسفر الانتخابات عن تشكيل حكومة توافقية، مكوّنة من نفس الطبقة السياسية التي تظاهر الملايين من العراقيين ضدها على مدى أشهر عديدة، وبالتالي تبدد أي آمال كبرى في التغيير، فالميليشيات التي تظاهر العراقيون ضدّها لا تزال ضمن التركيبة السياسية في البلاد، وترشحت للانتخابات في قوائم مشتركة وتتخفى أيضا وراء مرشحين مستقلين من المتوقع أن يستيقظ فيهم انتماؤهم الحزبي بعد الانتخابات.

بسام القزويني

إيران دفعت بالمتشددين للانخراط في السياسة

ومن بين المرشحين الذين يخوضون الانتخابات العامة في العراق هذا الأسبوع زعيم في واحدة من أكثر الميليشيات تشددا وقوة في البلاد، والتي تجمعها علاقات وثيقة مع إيران وقاتلت القوات الأميركية في السابق.

وانضم حسين مؤنس إلى قائمة طويلة من المرشحين من بين الفصائل الشيعية التي تدعمها إيران المتنافسة على مقاعد في البرلمان، لكنه كان أول من شارك وهو يحمل علاقة علنية بكتائب حزب الله، مما يشير إلى دخول الجماعة المتشددة رسميا في السياسة.

وتبقى الجماعة مدرجة على قائمة أميركية لمنظمات إرهابية ويتهمها مسؤولون من الولايات المتحدة باستهداف القوات الأميركية في العراق. وسُجن مؤنس لمدة أربع سنوات من 2008 إلى 2012 لقتال القوات الأميركية.

وقال مؤنس في تقرير لوكالة "أسوشيتد برس" من مكتبه من بغداد "دخولنا إلى السياسة واجب ديني. لقد قاتلت المحتلين عسكريا والآن سأقاتلهم سياسيا".

ويقول مؤنس (50 عاما) إنه تخلى عن زيه العسكري لصالح السياسة. وهو يرأس الآن حركة سياسية تسمى "حركة حقوق"، تقدم 32 مرشحا وبرنامجا انتخابيا ينادي بخروج القوات الأميركية من العراق.

وتعرضت جماعة كتائب حزب الله لقصف من القوات الأميركية بالقرب من الحدود العراقية – السورية عدة مرات. وفي ديسمبر 2019 نفذت الولايات المتحدة ضربات استهدفت مواقع عسكرية تابعة للتنظيم بعد أن اتهمتها بالتورط في هجوم صاروخي أدى إلى مقتل مقاول دفاعي أميركي في مجمع عسكري بالقرب من كركوك شمال العراق. وقتل نحو 20 من رجال الميليشيا.

وتزيّن إعلانات حملة حركة حقوق شوارع المناطق ذات الأغلبية الشيعية في بغداد وجنوب العراق.

ويجري العراق انتخابات في العاشر من أكتوبر، وهي خامس انتخابات برلمانية منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة للإطاحة بنظام صدام حسين في 2003، والذي حوّل قاعدة السلطة في البلاد من الأقلية العربية السنية إلى الأغلبية الشيعية.

وتشكّل هذه الانتخابات التي كان موعدها الطبيعي العام 2022، واحدة من التنازلات القليلة التي قدّمتها السلطة إلى الشارع إثر الموجة الاحتجاجية غير المسبوقة في العام 2019 التي خرجت ضدّ الفساد وهدر المال العام، وطالب مشاركون بها بإسقاط النظام كاملا.

وفي حين سمح قانون انتخابي جديد للمزيد من المستقلين بالترشح، تواصل الجماعات الشيعية الهيمنة على المشهد الانتخابي مع توقع سباق متشدد بين الأحزاب الموالية لإيران وميليشياتها (وأكبرها ائتلاف الفتح) والكتلة السياسية للقوميين الشيعيين خلف مقتدى الصدر، الفائز الأكبر في انتخابات 2018.

ويضم ائتلاف الفتح قادة مرتبطين بالحشد الشعبي، وهي مجموعة مظلة لميليشيات موالية لإيران، بما في ذلك كتائب حزب الله. لكن الجماعة خسرت بعض شعبيتها منذ احتجاجات 2019، حيث اتُّهم نشطاء الفصائل المسلحة المتشددة بقمع المتظاهرين بوحشية باستخدام الذخيرة الحية والغاز المسيل للدموع لتفريق الحشود.

وغالبا ما كان المحتجون الذين يطالبون بالتغيير والإصلاح ينتقدون التدخلات الإيرانية العنيفة في السياسة العراقية. وقُتل أكثر من 600 شخص وجُرح الآلاف خلال الاحتجاجات التي استمرت لأشهر.

ويقول محللون إن دخول كتائب حزب الله (الجماعة مستقلة عن المجموعة اللبنانية التي تحمل الاسم نفسه) السباق الانتخابي قد يكون محاولة من جانب إيران لتقوية حلفائها داخل البرلمان العراقي.

وقال المحلل السياسي المقيم في بغداد بسام القزويني إن إيران دفعت المتشددين للانخراط في السياسة بعد حركة الاحتجاج في 2019. وتابع "تفتح حركة حقوق الباب للفصائل المتشددة لدخول عالم السياسة ومبنى البرلمان"، مضيفا أنه لم يتوقع فوزها بالكثير من المقاعد.

ويزعم مؤنس أن أسباب دخوله السياسة هي خيبة أمل الناس من الوضع السياسي الحالي وفشل السياسيين في تنفيذ الإصلاح، قائلا "لذلك نحن نشارك من أجل إحداث التغيير". وفي حال فوزه، قال إنه سيعمل من داخل البرلمان على "استعادة السيادة العراقية من خلال جعل المحتل يرحل".

وردّا على سؤال حول انتشار الأسلحة خارج سيطرة الدولة، قال "يمكننا مناقشة الأمر عندما لا يعود الاحتلال الأميركي موجودا. عندها لن تكون هناك حاجة لحمل السلاح".

وخلال السنوات الماضية أسندت الميليشيات الشيعية لنفسها مهمّة "مقاومة" الوجود العسكري الأجنبي على الأراضي العراقية، والأميركي تحديدا على اعتبار أنّ الولايات المتّحدة هي العدوّ الأول في نظر إيران المشغّلة الأصلية لتلك الميليشيات.

وتجني تلك الميليشيات دخلا من مجموعة من المصادر والأنشطة التجارية غير المشروعة في العراق، بينما تسمح سيطرتها المتزايدة على مؤسسات الدولة العراقية باستغلال عائدات نقاط التفتيش ومراقبة الحدود وعدّة مشاريع غير قانونية. وهي باختصار لا تحترم القانون العراقي أو الأنظمة التي تحكم القوات المسلحة العراقية وموظفي الحكومة أو أي قانون دولي، ومن شأن اكتسابها تمثيلا قويا داخل البرلمان العراقي القادم أن يمنحها مساحة أكبر لتوسيع نفوذها في البلاد وإحكام سيطرتها عليها.

محطات مهمة في تاريخ العراق منذ الاجتياح الأميركي

- **20 مارس 2003:** غزا تحالف بقيادة واشنطن العراق بحجة تدمير أسلحة دمار شامل لم يتم العثور عليها.
- **9 أبريل:** وصل الأميركيون إلى بغداد حيث قامت آلية أميركية بمساندة نحو مئة عراقي بإسقاط تمثال الرئيس آنذاك صدام حسين، وهو ما شكّل صورة رمزية لسقوط النظام رغم استمرار المعارك في أمكنة أخرى.
- **1 مايو:** أعلن الرئيس الأميركي جورج بوش الابن أن القسم الأكبر من المعارك انتهى، فيما استمرت المعركة ضدّ الإرهاب.
- **16 مايو:** منع الحاكم الأميركي بول بريمر مسؤولي حزب البعث من تولي وظائف عامة، ثم حلّ الأجهزة الأمنية.
- **2 أكتوبر:** أقرّ تقرير لمجموعة تحقيق أميركية عدم العثور على أسلحة دمار شامل في العراق.
- **13 ديسمبر:** اعتقل صدام حسين بالقرب من تكريت شمال بغداد. وأُعدم في أواخر عام 2006.
- **28 يونيو 2004:** انتقلت السلطة إلى العراقيين وغادر الحاكم الأميركي بول بريمر البلاد.
- **30 يناير 2005:** إجراء أول انتخابات تعددية في البلاد وسط مقاطعة من العرب السنة. حصل الشيعة الذين يمثلون ثلثي السكان على الغالبية المطلقة، واختير الكردي السني جلال طالباني رئيسا انتقاليا في أبريل 2005، ثم أعيد انتخابه بعد عام.

أقرّ الدستور العراقي الجديد الصادر في 2005 النظام الاتحادي وشرّع الحكم الذاتي الذي يتمتع به إقليم كردستان العراق منذ 1991.

- **15 ديسمبر 2005:** فاز تحالف أحزاب وحركات شيعية في الانتخابات التشريعية لكن دون غالبية مطلقة في مجلس النواب.
- **22 فبراير 2006:** أدى تفجير ضريح شيعي في سامراء شمال بغداد إلى اندلاع نزاع طائفي دام بين الشيعة والسنة استمرّ إلى عام 2008 وأدى إلى مقتل عشرات الآلاف من الأشخاص.
- **8 أبريل 2013:** أعلن عن إنشاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام بقيادة أبي بكر البغدادي.
- **مطلع عام 2014:** احتلّ تنظيم داعش الفلوجة وأحياء من الرمادي في محافظة الأنبار.
- **10 يونيو:** سيطر التنظيم على الموصل، ثاني أكبر مدن العراق، وبات يسيطر على أكثر من ثلث أراضي العراق.

وكلّف حيدر العبادي بتشكيل حكومة جديدة بعد حكومة نوري المالكي الذي اتُّهم بالتحيز الطائفي.

- **8 أغسطس:** بمساندة تحالف دولي تقوده واشنطن أطلقت القوات العراقية هجوماً مضاداً وطردت التنظيم من كل المدن التي كانت خاضعة لسيطرته.
- **ديسمبر 2017:** أعلن العبادي "انتهاء الحرب" على تنظيم الدولة الإسلامية.
- **مايو 2018:** حلّ تيار رجل الدين الشيعي النافذ مقتدى الصدر في طليعة نتائج الانتخابات البرلمانية التي شهدت أيضاً دخول مرشحين من الحشد الشعبي (تحالف فصائل موالية لإيران صارت منضوية في القوات الرسمية) للمرة الأولى مجلس النواب.

2 أكتوبر 2018: كلّف الرئيس الكردي برهم صالح -الذي انتخبه البرلمان- عادل عبدالمهدي بمهمة تشكيل حكومة جديدة.

- **1 أكتوبر 2019:** انطلاق حركة احتجاجية ضد الفساد والبطالة وانعدام الخدمات العامة. وطالب المتظاهرون بـ"سقوط النظام" منددين بتدخل طهران في الشؤون العراقية.
- **30 نوفمبر 2019:** استقال عادل عبدالمهدي.

9 أبريل 2020: تكليف مصطفى الكاظمي -الذي كان مقبولاً من واشنطن وطهران- بتشكيل حكومة جديدة ووعد بإجراء انتخابات مبكرة.

26 يوليو 2021: أعلن الرئيس الأميركي جو بايدن أن واشنطن ستضع حدا لـ"مهمتها القتالية" في العراق نهاية العام لبدء مرحلة جديدة من التعاون العسكري.

العراق بلد ثري أنهكته عقود من الحروب

بغداد - يعيش العراق الذي سيشهد الأحد انتخابات نيابية مبكرة منذ أكثر من أربعة عقود سلسلة من الحروب والأزمات المتتالية التي دفعت به إلى وضع اقتصادي وسياسي حرج رغم امتلاكه ثروة نفطية هائلة.

فمنذ عام 1980 بدأ عهد العراق مع حروب مدمرة، باندلاع الحرب مع إيران التي دامت ثماني سنوات، ثمّ اندلعت حرب الخليج عام 1991، فتشكّل تحالف دولي بقيادة واشنطن بعدما احتل العراق الكويت عام 1990.

وبعد ذلك بنحو ثلاثة عشر عاما سقط نظام الراحل صدام حسين بعد الغزو الأميركي للعراق، لتتوالى النزاعات الطائفية وتعاني البلاد لسنوات من هجمات تنظيمات إسلامية متطرفة -من بينها تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"- راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأشخاص.

ويعتبر العراق مهد الحضارات السومرية والأكادية والبابلية والآشورية، وهي من أقدم الحضارات في العالم التي منها انطلقت الكتابة والقوانين المكتوبة وأولى المدن.

وكانت الحدائق المعلقة في بابل -عاصمة بلاد ما بين النهرين القديمة (بين 4500 و2500 قبل الميلاد)- تعدّ واحدة من عجائب العالم السبع. أما مدينة أور الأثرية، حيث ولد النبي إبراهيم بحسب العهد القديم، فهي أحد أقدم المواقع الأثرية في العراق.

ويشكّل الشيعة غالبية سكان العراق بنحو 60 في المئة من السكان البالغ عددهم 40.2 مليون نسمة، بينما يساوي السنة نسبة تتراوح بين 32 و37 في المئة.

ووفق الدستور تكون الصلاحيات الأقوى من حصة السلطة التنفيذية التي يرأسها رئيس وزراء شيعي. ويهيمن الشيعة حاليًا على المؤسسات السياسية والعسكرية في البلاد، فيما كانت سابقا من حصة الطائفة السنية التي كان ينتمي إليها صدام حسين.

ويقطن الأكراد -وغالبيتهم من السنة- شمال البلاد ويمثّلون نسبة 15 إلى 20 في المئة من السكان. وقد نظّموا عام 2017 استفتاء لتقرير المصير لكنه باء بالفشل رغم تصويت الغالبية لصالح الانفصال عن الدولة الفيدرالية.

ويمثّل المسيحيون نسبة أقلّ من 1 في المئة من السكان فيما كانوا يفوقون نسبة الـ6 في المئة عام 2003، وذلك إثر موجة من التهجير مدفوعةً بأعمال العنف والنزاعات.

ويملك العراق حدودًا مع القوتين الإقليميتين الغريمتين السعودية وإيران، وكذلك حدودًا شاسعة مع تركيا وسوريا ومع الكويت والأردن.

ويضمّ احتياطيًا هائلاً من النفط، فهو البلد الثاني من حيث الاحتياطي في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، بينما يوفّر له النفط أكثر من 90 في المئة من عائداته.

على الرغم من ذلك بلغ الدين العام للبلد في نهاية العام الماضي أكثر من 113 مليار دولار، منها 40 مليار دولار لا تزال معلقة لصالح ثماني دول منذ ثمانينات القرن الماضي. وخلال السنوات الماضية شهدت البلاد تأخرا في تسديد الرواتب الحكومية نتيجة نقص السيولة.

وتواجه البلاد أزمة كهرباء وطاقة حادة وتشهد انقطاع الكهرباء لساعات طويلة وبشكل متكرر، ما يغذي الغضب الاجتماعي. وتعتمد بغداد بشكل كبير على جارتها طهران التي توفر لها ثلث احتياجاتها من الغاز والكهرباء.

> **العراق يواجه أزمة طاقة حادة ويشهد انقطاع الكهرباء لساعات طويلة وبشكل متكرر، ما يغذي الغضب الاجتماعي**

ووفق الأمم المتحدة يعيش ثلث السكان في الفقر، لاسيما بفعل وباء كوفيد – 19 وتراجع أسعار النفط عام 2020 اللذين زادا الوضع سوءًا.

ويعاني العراق كذلك من فساد مزمن ومتفش في كل مفاصل المجتمع وكلّف الدولة أكثر من 410 مليارات يورو منذ عام 2003، وفق أرقام رسمية عراقية.

ورغم أن العراق الحالي يرث "بلاد ما بين النهرين" (نهري الفرات ودجلة) اللذين يعبران البلاد من شمالها إلى جنوبها، ويمران كذلك بسوريا والعراق والكويت، إلا أنه يعاني من شحّ الموارد المائية نتيجة الاستغلال المفرط من قبل كلّ من تركيا وإيران لمياه الأنهار التي تنبع من أراضيهما وتوظيفها كورقة ضغط لفرض أجنداتهما على العراق وحماية نفوذهما ومصالحهما هناك.

وخلّفت سنوات الحرب الطويلة دمارا هائلا في البنية التحتية والمنازل مما تسبب للبلاد في أزمة إسكان خانقة تستوجب من السلطات الإسراع بتوفير الملايين من الوحدات السكنية وإصلاح البنية التحتية الحيوية، خاصة تلك المتعلقة بقطاعي الكهرباء والمياه.

بغداد تسير في عقود من الفوضى